

جذور اجتماعية رافدينية من السهل الرسوبي مقاربة أثنو-آثارية لبعض الظواهر الاجتماعية في المجتمع العراقي

يمكن للقياس والاستدلال، ضمن البحث الأثنو-آثاري، أن يؤدي دوراً حيوياً في تفسير الظاهرة الاجتماعية ضمن سياقها التاريخي، من خلال بعض المصادر التي قد تكون: تجربة شخصية، أو وثيقة مدونة، أو بيانات مستقاة من دراسة أثنوغرافية. يتم استخدام القياس العلائقي في المنهج الثقافي التاريخي من خلال التركيز على أوجه التشابه الممكنة بين الجزئيات المكوّنة لثقافتين تنتمي إلى بيئة جغرافية واحدة. من أجل تفسير البقايا الأثرية وإعادة رسم صورة المجتمعات القديمة، فإن القياس يمثل قراءة مباشرة للماضي من خلال دراسة الفعاليات المعاصرة^(١).

تُعرّف الدراسة الأثنو-آثارية على أنها منهج وطريقة في البحث، وليس تخصصاً حقيقياً، ومع ذلك، فقد أثبت هذا المنهج فعاليته في مجال القياس التحليلي الذي ينتج أحياناً من التغيرات في أسلوب البحث الاجتماعي وتصميمه، ومن خلال الدليل صار هذا المنهج جزءاً لا يتجزأ من التنظير الآثاري^(٢). وأصبح الدور الذي يلعبه البحث الأثنو-آثاري واضحاً ونافعاً في التفسير والاستدلال الآثاري، إذ يهدف إلى إيجاد الصلة والرابطة بين البقايا المادية والسلوك والنشاط البشري الذي أنتج تلك البقايا، وذلك حينما يصلنا الأثر فقط، بينما يضيع السياق الاجتماعي والثقافي الذي كان مصاحباً للأثر بمجرد زوال المجتمع^(٣). في بداية ستينيات القرن الماضي، بدأ لويس بينفورد وطلابه

عبد الأمير الحمداني*

ليس معلوماً، بالضبط، المصير الذي
آل إليه سكان العراق القديم بعد الفتح
الإسلامي للعراق في منتصف القرن السابع
الميلادي. لكن من الراجح أنهم ذابوا مع
وصول دفعات بشرية كبيرة من الجزيرة
العربية والصحراء السوريّة التي اندفعت
نحو المدن والأرياف الرافدينية.

في نموذج العلاقة المكانية، بإمكانية وجود روابط
وصلات في الظواهر والممارسات الاجتماعية في
مجتمعين مختلفين زمنياً وعرقياً، أو حتى في حالة
وجود انقطاع ثقافي بينهما، شريطة أن يكون المجتمعان
يشتركان في بيئة طبيعية واحدة^(٦).

في دراسة الثقافة المادية والسلوك الاجتماعي
للمجتمعات المعاصرة، يستند القياس إلى أساسين
مهمين^(٧):

١. النهج التاريخي المباشر: وجود علاقة تاريخية
وعرقية مباشرة بين منتجي الثقافة المعاصرة ومنتجي
الثقافة القديمة التي وصلتنا بشكل أدلة مادية ووثائق
مدونة. في هذه الحالة يشغل القياس والاستدلال
بأقصى طاقتيهما. ليس معلوماً، بالضبط، المصير الذي
آل إليه سكان العراق القديم بعد الفتح الإسلامي للعراق
في منتصف القرن السابع الميلادي. لكن من الراجح
أنهم ذابوا مع وصول دفعات بشرية كبيرة من الجزيرة
العربية والصحراء السوريّة التي اندفعت نحو المدن

في جامعة نيومكسيكو فصلاً جديداً في الدراسات
الآثرية، مبتعدين عن منهج التفسير التاريخي للظاهرة
الثقافية الذي ابتكره غولدن جايلد خلال الثلاثينات.
رفع بينفورد شعار «علم الآثار بحث أنثروبولوجي
أو هو لا شيء». تضمّن المنهج الجديد إدخال علوم
جديدة مكّلة مثل الأنثوغرافيا ودراسة الثقافة المادية
المعاصرة من أجل ردم الفجوة في المعلومات
المستحصلة من العمل الميداني والتنقيبات. عند
بينفورد، لا تغطي المعلومات والبيانات المستخلصة
من الآثار الماديّة والمدونة التي يتمّ الكشف عنها من
خلال التنقيبات، في أفضل الأحوال، سوى ٨٠ بالمائة.
وتشكّل النسبة المتبقية السياق الاجتماعي والثقافي
المفقود الذي أنتج الأثر، والذي لا يمكن التحقق منه
إلا من خلال دراسة أنثوغرافية للثقافات المادية في
المجتمعات المعاصرة^(٨).

في علم الأنثوغرافيا، أفضل طريقة لفهم الظواهر
الاجتماعية وتفسيرها وردم الهوة بين الماضي
والحاضر، من بين طرق أخرى، هي استخدام ما
يُصطلح عليه بنموذج القياس العلائقي Relational
Analogy، أو نموذج العلاقة المكانية الوراثة Spatial
Relationship and Hereditary وتطبيقهما^(٩). وعندما
يتمّ تطبيق نموذج العلاقة المكانية، تُظهر المجتمعات
التي تعيش في بيئات متماثلة مرتكزات وبُنى اجتماعية
وثقافية متشابهة، على الرغم من الاختلاف فيما بينها
في المسارات التاريخية والمعتقدات الدينية والأصول
العرقية. يعتقد عالم الأنثروبولوجيا الآثرية أيان هودر،

هي محاولة أولية في مجال الدراسة الأثنو-آثارية التي تُعنى بالبحث في السلوكيات والثقافة المادية المعاصرة من منظور آثاري

ما يحاول هذا البحث تقديمها.

إذن، هي محاولة أولية في مجال الدراسة الأثنو-آثارية التي تُعنى بالبحث في السلوكيات والثقافة المادية المعاصرة من منظور آثاري من أجل التوصل إلى فهمها ضمن سياقها التاريخي، إذ يوفر البحث الأثنو-آثاري نوعاً من الرقابة والسيطرة على القياس والتحليل والتفسير الذي يستخدم في عملية تفسير البقايا الأثرية، مادية أو مدونة^(١٣). تستند المحاولة بشكل أساسي على مرتكزين. المرتكز الأول، وفّرته لي تجربة السكن في الأهوار العراقية، إذ ولدت ونشأت في قرية كانت تقع في الجزء الشمالي من هور الحمّار، كنت خلالها أسمع روايات من كبار السنّ وألاحظ، بعين الصبيّ، ممارسات ومظاهر اجتماعية، دون أن أجد أجوبة لفهم طبيعتها، أسبابها ودوافعها، إلى أن هيا لي أساتذتي في قسم الآثار في جامعة بغداد - وهم فاضل عبد الواحد علي في اللغة السومرية، ووليد الجادر في الفنون القديمة، وتقي الدبّاغ في الأنثروبولوجيا - قسماً مهماً من الأجوبة. أمّا المرتكز الثاني فهو دراستي للأثوغرافيا والأنثروبولوجيا في جامعة نيويورك، التي وفّرت لي فرصة إعادة تركيب الصورة من خلال ربط المشاهد المنقوشة على الأعمال الفنية الرافدينية والنصوص المدونة مع ملاحظاتي

والأرياف الرافدينية. كان لقب «مولى» يطلق أساساً على الرافدينين العراقيين من غير العرب في السنوات الأولى لوصول الفتح الإسلامي للعراق، قبل أن يأخذ المصطلح دلالة أخرى، إذ صار يطلق لاحقاً على سكان المناطق المفتوحة في إيران وأرمينيا وآسيا الوسطى.

٢. نهج القياس المقارن: وجود بيئة طبيعية-جغرافية واحدة حاضنة لمجتمعين مختلفين عريقاً^(٨). طبقاً لآيان هودر في تعريفه للوراثة المكانية، تتشابه الثقافات والسلوكيات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية في المجتمعات في حال تشابه العوامل الطبيعية والبيئية الحاضنة لها، حتى مع وجود فواصل زمنية واختلاف عرقي أو انقطاع ثقافي^(٩). في المثال العراقي، يبدو أن الفتح العربي للعراق كان نقطة تحوّل ثقافي، ولكن التغيير كان بطيئاً، وكان التأثير مباشراً ومنصباً على العقول أكثر منه على الأعراف والثقافة المادية. ومثلما ورثت المسيحية الإمبراطوريتين اليونانية الرومانية، ورث الإسلام ثقافة منطقة غرب آسيا والشرق الأدنى القديم. وبهذا المعنى يمكن القول إن الإسلام لم يُلغِ الثقافة العراقية القديمة^(١٠)، بل إن بعضهم يعتبر الإسلام استمراراً وبناءً لثقافة أقدم^(١١). لا شك في أن ثمة أوجهاً كثيرة للشبه بين المجتمعات العراقية المعاصرة في الأرياف والأهوار وبين المجتمعات الرافدينية القديمة التي عاشت في البيئة نفسها، سواء أكان في مجال الثقافة المادية المتضمنة طرق الزراعة والري، وسائط النقل، طرق الصيد، بناء السفن، بناء بيوت القصب^(١٢)، أم في مجال الفعاليات والأنشطة الاجتماعية والثقافية، وهي

ومشاهداتي في القرية. وهذا ما اتبعته كمنهج في كتابة هذا البحث.

يجري الحديث هنا، إذن، عن بعض الظواهر الاجتماعية في المجتمع العراقي المعاصر ومحاولة مقاربتها مع جذورها الرافدينية، إن وُجدت، من أجل فهم طبيعة المصادر التي ساهمت في تشكيل ظواهر اجتماعية كهذه، ومن أجل إيجاد مرجعيات تاريخية ثقافية لها.

أينانّا: كوكب الزهرة

إلى وقت قريب، كان على أهالي القرى المحاذية للأهوار في جنوبي العراق أن ينجزوا حصاد محصولي الحنطة والشعير، وجزّ صوف الأغنام، وترميم السداد الترابية المحيطة بالقرى، وصيانة الدكاك الترابية التي تقع عليها القرى، وكان عليهم أن ينجزوا كل ذلك في غضون الأسبوعين الأولين من شهر نيسان، قبل أن تُغمر المنطقة بمياه الفرات نتيجة الزيادة الموسمية، ونتيجة لمطار، وعواصف موسمية تسمى محلياً «موسم الثريا». كانت الرياح الجنوبية الشرقية قويّة وعاصفة بحيث تُكسر الأشرعة وتحطّم سفن الصيادين وجامعي القصب. في هذا الوقت من السنة تظهر في السماء نجمة حمراء متألّئة برّاقة،

كانت بالنسبة لأهالي القرى نذيراً بقرب حدوث العواصف والفيضان، وإشارة لهم على بدء إنجاز التحصينات قبل

حدوث الهول.

كانت الأمّهات والجّدات يمارسن طقساً معيناً لحماية الأطفال من خلال وسّم جباههم بصبغة حمراء قانية كي ترضى عنهم النجمة الحمراء، وكي لا تسبب لهم الأذى. الصبغة الحمراء هذه توسم بها جباه الأطفال مثلما توسم بها جباه الخراف الوليدة.

النجمة الحمراء البرّاقة هي كوكب الزهرة التي كانت رمزاً من رموز الإلهة أينانّا (شكل ١) إلهة الخصب والنماء في المعتقدات السومرية. توصف أينانّا في القصائد والمدونات بأنها نجمة الصبح الحمراء المتألّقة. أمّا اللون الأحمر فهو لونها المفضّل^(١٤).

الفحل أو العجل الذي يسوق المطر

يسود اعتقاد بين سكان جنوبي العراق، وفي الأهوار تحديداً، أن الغيوم الحاملة للمطر يسوقها فحلّ بعد أن يقوم بإخصابها وتلقيحها. طبقاً لاعتقادهم، يقوم فحل الغيم هذا بجمع الغيوم وتلقيحها حتى تغطي السماء ثم ينزل المطر مدراراً دون توقّف. كان أحدهم، مثلاً، يخرج من المنزل أو المضيف ليرى السماء ملبّدة بالغيوم السود فيردّد «ما تصحى فحلها بها»، بمعنى مادام الفحل يلقح الغيوم فإنها لن تصحو.

يردّ في المعتقدات الرافدينية أن الإله إشكور في السومرية، وأد أو هداد في الأكديّة، هو المسؤول عن المطر

كانت الأمّهات والجّدات يمارسن طقساً معيناً لحماية الأطفال من خلال وسّم جباههم بصبغة حمراء قانية

والعواصف. يُرمز للإله أدد في المنحوتات والأختام الأسطوانية الرافدينية، غالباً، بعجل أو فحل، وأحياناً يصوّر بهيأة شخص يقف على ظهر عجل حاملاً بيده شعاع البرق أو وهو يحمل سوطاً يسوق به الغيوم (شكل ٢) (١٥).

يُعزى سبب حدوث المطر في الميثولوجيا السومرية إلى الإله أدد، إذ يقوم بملاً العربات التي تجرّها الثيران من الخليج (حرفياً: البحر الذي تشرق منه الشمس)، ويأتي بها إلى بلاد سومر وأكد. أما البرق فهو الشرر المتطاير من حوافر الثيران، والرعد هو الصوت الناجم عن اصطكاك عجلات العربات بالسماء، تبقى الغيوم ماطرة مادام أدد (الفحل) يلقيها ويسوقها إلى الجهات والمناطق التي يقدم أهلها قرايين أكثر إلى المعبد. بالطبع، كلا التفسيرين، القديم والمعاصر، هما محاولة لإيجاد تعليلات للظواهر الطبيعية، تستند إلى أفكار ما قبل فلسفية يجد أفراد المجتمع فيها راحة من عناء التفكير في الأسباب الموضوعية المعروفة علمياً لحدوث المطر.

النخلة، الشجرة المقدسة

شجرة النخيل مكانة كبيرة في حياة العراقيين في تأريخهم القديم والوسيط والمعاصر، وصاروا مضرب الأمثال في عنايتهم بالنخيل، مصدر الثروة ومرتكز الارتباط بالأرض والتجذر فيها. واحتلت النخلة مكاناً مميزاً في البعدين: الواقعي والأسطوري لحياتهم اليومية.

تذكر الروايات التاريخية حول جنة عدن، وهي روايات مأخوذة بالتأكيد من مصادر رافدينية، أن جنة عدن كانت تقع في الجزء الأسفل من وادي الرافدين بين نهري دجلة والفرات. هذه الروايات التاريخية، ومنها الرواية التي توردها التوراة مثلاً، لم توفق في تحديد نوع الشجرة المقدسة أو شجرة الحياة. تذكر الرواية التوراتية أن شجرة التفاح هي الشجرة المقدسة-المحرمة (سفر التكوين ٣: ٢٤)، التي لم يصمد آدم وحواء أمام منظر ثمارها الناضجة. لكن المدونات السومرية لم تذكر التفاح، بشكل مكثف، في النصوص الاقتصادية أو معاجم النباتات والأشجار مثلما ذكرت أشجار مثمرة ومحاصيل حقلية شكّلت جزءاً أساسياً من مدخولات المعابد، كما أن التفاح لا يمكن أن ينمو أو أن يطرح ثماراً ناضجة مغرية في بيئة قاسية حارة جافة مثل بيئة جنوبي العراق. على أن النخلة هي الشجرة الوحيدة التي تستطيع أن تنمو وتثمر في ظل ظروف كهذه، وهي لا غيرها التي يمكن أن ينطبق عليها بحق وصف شجرة الحياة المقدسة، وليس التفاح.

في سياق تحديد البيئة الجغرافية التي كانت تضمّ الجنة الرافدينية، وفي مجال تثبيت أن شجرة النخيل هي شجرة الحياة، فإن مشهداً منقوشاً على ختم أسطواني

تبقى الغيوم ماطرة مادام أدد (الفحل)
يلقيها ويسوقها إلى الجهات والمناطق التي
يقدم أهلها قرايين أكثر إلى المعبد.

دموزي - أشمجال - أنا الذي يمثل العنصر الفاعل في نمو وخصوبة النخيل^(١٦). الطريف في الأمر أن الغراب هو مَنْ باشر زرع النخلة بأمر من إنكي (شكل ٤)، حيث يصف إنكي للغراب أن عليه أن يمزج بذرة النخلة مع الكُحل وأن عليه أن ينثره على تخوم أهوار أريدو^(١٧)، وهو موضع سهل أيدن بين أوروك وأريدو. كان نخيل سهل أيدن من أجود أنواع النخيل، إذ كان السومري يقول للمرأة الخصبة الجميلة: أنت نخلةٌ من جو - إدينًا، أي أنت جميلة كما نخلةٌ من فم جنة عدن. تقول الأسطورة:

امتثل الغراب لأوامر سيّده،
هَشَم ثم سَحَق كُحل سحرة أريدو،
المخبأ في وعاء الدهان اللازوردي،
زَرَعَ الحبوب في الأرض المتاخمة للأهوار،
حيث ينبت الشجر المعمّر،
ومنه طُلعت نخلة،
أوراقها تُذكر بالأشجار المعمّرة،
ولم ير أحد مثلها قط ...
وبعد كل هذا، انطلق الغراب،
تسلق النخلة المورقة،
ملأ فمهُ بالتمر الحلو،
أَهيَ لهذا موجودةٌ في أراضي الملك؟
سَعَفها يُرافق الأوامر الملكية!
تمرها يتدلّى أعذاقاً بين سعفها الكثيف
تمرها ندورٌ في معابد أكبر الآلهة
ها هي النخلة سليلة الأنهار، الشجرة الخالدة

يعود للعصر الأكدي (٢٣٤٠-٢٢٨٠ ق.م)، ربما يسهم في الحصول على الإجابة (شكل ٣). يُظهر الختم إلهًا، ربما دموزي إله الخصب، بوضعية جلوس وهو يعتَمِرُ قُلنسوة مقرّنة تقابله إلهة جالسة هي الأخرى على عرش، من المحتمل أنها إينانا، تنتصب بينهما شجرة نخيل مثمرة، ويبدو في حافة المشهد ثعبان صاعد إلى الأعلى. كلاهما: النخلة والثعبان، من رموز الخصب والنماء في المعتقدات الرافدينية. قد يكون المشهد الأصل والمرجع التاريخي الذي استقت منه الأديان الشرقية فكرة الجنة التي عاش فيها آدم وحواء والشجرة المحرمة - المقدسة والأفعى التي مارست فعل الإغواء. في أسطورة إينانا وشوكتلوتا، تُقرر إينانا النزول من السماء إلى الأرض، ويكون نزولها في جنة أو حديقة أريدو الإلهية، حديقة الإله إنكي حيث مسكنه المحبوب (أ- أبزو، المياه العذبة). يقوم الإله إنكي بخلق النخلة لتكون أول شجرة مثمرة في الحديقة الإلهية. أطلق علي الحديقة اسم «أيدن - عدن» وكانت إينانا مسؤولة عن هذه الحديقة حتى أن لقب «سيّدة سهل إيدن، نن - أيدينا» كان لقبها المفضل، ويشار إليها أحياناً على أنها سيّدة بساتين النخيل إضافةً إلى لقب عروس الإله

على أن النخلة هي الشجرة الوحيدة التي
تستطيع أن تنمو وتثمر في ظل ظروف
كهذه، وهي لا غيرها التي يمكن أن ينطبق
عليها بحق وصف شجرة الحياة المقدسة،
وليس التفاح.

إن طائراً مثل هذا الغراب

قام بعمل الإنسان

وهكذا فإن هذا الطائر، هذا الغراب

الذي امتثل لأوامر سيده

أخرج النخلة الى الوجود

لسانها الطلع يعطيك لبّاً، لحيتها الألياف تعطيك

حصيراً،

فسائلها التي تحيط بها تعطيك أدوات القياس^(١٨)

فيما يخص استخدام الكحل في صنع النخلة، فإن

هناك مقارنة بين أهذاب عين المرأة الشابة، أينانا مثلاً،

وبين سعفة النخلة، ليس فقط من حيث الشكل، بل

من حيث وصفهما: رمش العين وسعفة النخيل، من

مصاديق الخصب والجنس والنماء. فلطالما اهتمت

المرأة بتزيين أهذاب عينيها بالكحل من أجل إغراء

الرجل قبيل الممارسة الجنسية، وكذا الأمر مع النخلة،

فحين يحل موسم تلقيح النخيل فإن السعف يبدو في

أبهى وأجمل صوره، مخضراً غصّاً ناشراً خصوصه وقد

اكتسى بمادة طحينية بيضاء مائلة إلى السمرة، بانتظار

لقاح الذكر-الفحل.

ثمة علاقة وطيدة بين الغراب والنخلة في جنوبي

العراق، إذ تستوطن الغربان أعالي النخيل وتصنع

أعشاشها في فروع النخلة. حتى إذا حان موعد قطاف

التمر تحركت أسراب من الغربان تأكل التمر، ولا

تكتفي بالأكل، بل تعيث فساداً بالتمر. ويحدث أن فم

ومنقار الغراب يصاب بجراثومة في هذا الوقت بالتحديد،

فيتخلص المزارعون من الضرر، وتكتفي الغربان بالنعيق

ونظرات الحسرة. في الماضي القريب، كان نوى النخيل

يستخدم علاجاً للأمراض التي تصيب هدب العين، إذ

تتحول نواة التمر بعد شويها وسحقها إلى مسحوق أسود

يشبه الكحل لوناً، ثم يوضع، مثل الكحل، على بدايات

الشعر الملامس للجلد^(١٩).

ولغرض الإشارة والمقارنة فقط، ولأنها تحمل منحي

ملحمياً، أعرض ما أورده صاحب كتاب الأنوار النعمانية

السيد نعمة الله الجزائري، وهو فقيه ومُحدّث ومُفسّر

وُلِدَ في قرية الصباغية قرب الجبايش في منتصف القرن

السابع عشر الميلادي، في تفسيره لعملية خلق النخلة

وتسميتها، إذ يقول: «إن الله أمر الملائكة فوضعوا

التراب الذي خلق منه آدم في المنخل ونخلوه، فما كان

لباباً صافياً أخذ لطينة آدم، وما بقي في المنخل خَلَقَ الله

منه النخلة وبه سُمِّيَتْ لأنها خُلِقَتْ من تراب بدن آدم

وهي العجوة. وكان آدم يأنس بها في الجنة ولما هبط

إلى الأرض استوحش بمفارقتها وطلب من الله أن يُنْزِلَ

له النخلة فأنزلها وغرسها في الأرض، ولما قربت وفاته

أوصى إلى ولده أن يضع معه في قبره (جريدة) سعفة

منها فصارت سنة إلى زمان عيسى ثم اندرست فأحيها

النبي وقال إنها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء»^(٢٠).

وتكاد الرواية المندائية العراقية، عن كون النخلة أول

يقوم الإله إنكي بخلق النخلة لتكون أول

شجرة مثمرة في الحديقة الإلهية. أطلق

علي الحديقة اسم "أيدن- عدن"

مفردة ربما تتصل باسم دجلة، في إشارة إلى أنها من نخيل دجلة الذي يقلّ جودةً عن نخيل الفرات، مضرب الأمثال، حتى أن المثل الشعبي القائل «نخل الدير عيط ودغل»، يشير إلى أن نخيل منطقة الدير الواقعة على نهر دجلة قرب القرنة هو من الصنف الطويل جداً وأن ثماره رديئة النوعية بحيث لا تغري بقطعها مقارنة بنخيل

الفرات في منطقتي القرنة والمدينة صعوداً. لقد اهتدى الرافديون القدماء إلى صعوبة الزراعة والري من نهر دجلة، ذلك أن مجرى النهر أشدّ انخفاضاً من ضفافه مما يصعب السقي منه. كما أن مياه دجلة تجري بسرعة ولا يمكن التحكم بها بسهولة، وأن الطمي الذي يحمله أقلّ خصوبةً من طمي الفرات^(٢٣)، لذلك أطلق السومريون على النهر اسم إد-جلات، ويعني السهم المنطلق، الذي تحوّل لاحقاً إلى تجرات في الفارسية القديمة، وإلى تايجرس في الإغريقية واللاتينية. لهذه الأسباب، فإن التحضر وال عمران قد حصلا أولاً في وادي الفرات لمئات السنين قبل أن يصل إلى دجلة.

وفي مجال أفضلية نهر الفرات يرد في تعويذة بابلية كانت تُتلى عند النزول في ماء الفرات للحصول على الشفاء ما يلي:

أيها النهر، يا مبدع الأشياء كلها.
عندما حفر مجراك الآلهة الكبار،
حفوا ضفافك بكل ما هو حسن وطيب.
وفيك أقام إله الأعماق إيا مسكنه،
ووهبك فيضان الماء الذي لا يقاوم.

الأشجار المخلوقة، تنماهي مع القصة السومرية. ترد في الرواية المندائية أن ملك النور العالي أرسل الملاك هبيل زيوا إلى الأرض كي يُعمّرها ويهيئها لخلق آدم حيث كانت الأرض خربة تغطّيها المياه، وأعطيت للملاك مهمة خلق الزروع والأشجار ومن بين أولى الأشجار التي خلقت كانت شجرة النخيل^(٢١).

وفي مجال تبجيل النخلة والإشادة بفوائدها، فإن نظرة العراقيين لها في الوقت المعاصر لا تختلف عما أوردته الأسطورة السومرية. فقد سُئل أحد العراقيين وهو في موسم الحج: ما هي ثمار بلادكم؟ فأجاب التمر. ثم ماذا؟ فأجاب التمر أيضاً. فلما استغرب السائل من هذا الجواب قال العراقي: إننا نستفيد من النخل فوائد عديدة. فنستظل به من وهج الشمس، ونأكل ثمرته، ونعلف ماشيتنا بنواته ونعلن عن أفراحنا بسعفه، ونتخذ من عصارتة عسلاً، ونصنع من جريده وخوصه الأواني والحصران وغيرها من الأثاث، ونصنع من جذعه خشباً لسقوفنا، وأعمده لبيتونا، ووقوداً لطبخنا^(٢٢).

نخيل دجلة ونخيل الفرات

في جنوبي العراق، يقال للنخلة غير المثمرة أو التي تطرح ثمرها سيئاً، يقال لنخلة كهذه «دِگلة أو دقلة»، وهي

وفي مجال تبجيل النخلة والإشادة بفوائدها، فإن نظرة العراقيين لها في الوقت المعاصر لا تختلف عما أوردته الأسطورة السومرية.

كما وهبك الإلهان إيا ومردوخ
غضباً نارياً وجلالاً وروعاً.
أنت قاض في مشاكل البشر
أيها النهر العظيم، أيها النهر المبجل،
يا نهر المقامات المقدسة،
يا من بمائك يأتي الشفاء، تقبّلني.
انتزع ما بجسمي وارمه إلى ضفافك.
ارمه إلى ضفافك [أو] دَعه يغور في أعماقك^(٢٤).

التبرّك بشجرة النبق «السدر»

بالإضافة إلى النخلة، لم تحظ شجرة ما في العراق،
جنوبه بالخصوص، بقدسية وتبجيل مثلما تحظى به
شجرة النبق/ السدر. يكثر تواجد النبق بغزارة في
جنوبي العراق، وينمو بشكل طبيعي، غالباً، على ضفاف
الأنهار أو في البساتين والحقول أو داخل البيوت. تطرح
شجرة النبق ثمراتاً شهياً مرتين في السنة، واحدة في نهاية
الربيع وأخرى في منتصف الخريف. يُستفاد من خشبها
وأغصانها في صناعة الأثاث وفي صناعة السلال^(٢٥).

تسود بين الناس عقيدة راسخة بحرمة قطع شجرة
السدر أو الإضرار بها وبالتالي تقديسها والتبرّك بها إلى
درجة أن من يقطعها قد تحلّ به لعنة، حتى وإن تعارض
وجودها مع الرغبة في توسعة دار أو شق طريق. عادة ما
يتم زيارة أشجار مُختارة من النبق في موسم الربيع ويتم
تقديم النذور لها، حتى أن حكايات تروى عن تأثيرها،
الضار أو النافع فيما إذا تمّ الإيفاء بالنذر أم لا، جيلاً بعد
جيل.

بالطبع، لا يتعلّق الأمر بتعاليم الإسلام، فقد تكون
تحضّ على تكريم الأشجار، لكنها لا تريد المغالاة
في تكريمها. كما أن التبرّك بشجرة النبق يتمّ في السهل
الرسوبي بين بغداد والبصرة جنوباً إلى الأحواز شرقاً،
ولا يُرى أثراً لتقديسها خارج هذه المنطقة الجغرافية
إلا بقدر ما تعلق الأمر باستخدام أوراقها كمادة مُطهّرة
لغسل أجساد الموتى.

قد يكون لتقديس شجرة السدر جذوراً سومرية، إذ
يرد في المدونات السومرية أن شجرة تسمى «خلابو»،
تنمو بكثرة على ضفاف الفرات، كانت مقدّسة عند
السومريين. حدث أن سافرت الإلهة أينا-عشتار من
أوروك إلى أريدو لمقابلة الإله إنكي وفي طريق عودتها
رأت شجرة «خلابو»، فأعجبت بمنظر أغصانها، لذا
أمرت بأن يتم زراعتها في سهل كولا ب قرب أوروك،
حتى أن عرشها وكرسيها كان يصنع من أغصان هذه
الشجرة، وأنها كانت تجلس بظلّها وهي بانتظار لقاء
حبيبها دموزي (شكل ٥)^(٢٦). ولأنها أصبحت شجرة
إينا المفضّلة، فقد أحبها السومريون وصاروا يتبرّكون
بها. هناك من الباحثين من يرى أن «خلابو» هي شجرة
الصفصاف، لكن الأخيرة، على العكس من شجرة
النبق، لا تطرح ثمراتاً وأن أغصانها لا تصلح أن يصنع

في جنوبي العراق، يقال للنخلة غير المثمرة
أو التي تطرح ثمراتاً سيئاً، يقال لنخلة كهذه
"دِگلة أو دِقلة"، وهي مفردة ربما تتصل باسم
دجلة

منها أثاث لأنها رخوة ومجوفة. يرد في قصة إينانا وجلجامش وشجرة الخولوبو:
في تلك الأزمان، شجرة، شجرة خلابو
زُرعت على شاطئ نهر الفرات،
وسُقيت بماء نهر الفرات.

ولكن ريح الجنوب العنيفة هبت واقتلعتها من جذورها،
وعاثت فساداً في أغصانها،
ثم حملها نهر الفرات على أمواجه.
كانت المرأة (إينانا) تهيم على وجهها خائفةً من كلمة الإله آن؛
كانت تهيم على وجهها خائفةً من كلمة الإله إنليل؛
فانتزعت الشجرة من النهر بيديها وجاءت بها إلى أوروك؛
سوف أجلب هذه الشجرة إلى حديقة إينانا المثمرة.
المرأة زرعت الشجرة بيديها وسوّت التربة حولها
بقدميها:

متى تصير الشجرة عرشاً مثمراً أجلس عليه؟
متى تصير الشجرة سريراً مثمراً فأضطجع عليه؟^(٢٧)

جلجامش و «ثلثين الولد من الخال»

يشيع في جنوبي العراق
المثل القائِل، مجازاً، أن
ثُلثي الرجل يعود لأخواله،
أهل أمّه، وأن الثلث المتبقي

يتبع الأب والأعمام «ثلثين الولد للخال». أن نسبة الرجل لأمّه، وليس لأبيه، هو تقليد بعيد عن البيئة العربية التي يغلب فيها المبدأ الذكوري، دون أن يكون للأُنثى دور يُذكر، فضلاً عن إعطائها أهمية في أن يُنسب لها الابن أكثر من نسبته إلى الذكر.

في المجتمع الذكوري يختفي تماماً دور المرأة في التأثير الاجتماعي إلى درجة أن ذكرها، إن حصل، فإنه يأتي مقروناً بالازدراء والهامشية. لذلك، من الراجح، منطقياً، أن أصل هذا المثل يعود إلى التراث الرافديني القديم، في بواكيره، حينما كانت القوى المؤثرة في المجتمع والكون قوى مؤنثة بحسب المعتقدات الدينية. لذلك، كانت الزعامة والمبادرة بيد القوى الطبيعية المؤنثة التي تمثلها الإلهة إينانا وزميلاتها المبجلات من قبيل تيامت ونماخ (السيدة البهيجة)، وننجال (السيدة العظيمة) ونخرساج (سيدة الأقاليم) وننتو (سيدة السماء) ونليل (سيدة الهواء) وأخريات، قبل أن تتحول الزعامة إلى الذكور بزعامة الإله مردوخ في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

يرد في المدونات الأدبية الرافدينية أن البطل الملحمي جلجامش كان ثلثاه من إله وثلثه الآخر من

بشر^(٢٨). يأتي ثلثاه الإلهيين من جهة أخواله الآلهة، إذ كانت أمّه، نينسون، إلهة ثانوية في أوروك يستعان بها بديلاً عن إينانا في أداء الطقوس والشعائر في معابد

قد يكون لتقديس شجرة السدر جذوراً
سومرية، إذ يرد في المدونات السومرية
أن شجرة تسمى "خلابو"، تنمو بكثرة
على ضفاف الفرات، كانت مقدسة عند
السومريين.

أوروك حين تنزل الأخيرة إلى العالم الأسفل أو في حال سفرها. أما ثلث جلعامش البشري فهو من جهة أبيه لوجال باندا (بحدود ٢٧٥٠ ق.م)، الحاكم الثالث في سلالة أوروك الأولى في عصر فجر السلالات السومرية الأولى.

إنكي وخلق الإنسان

بحسب القصة السومرية التي تتحدث عن خلق الكون والإنسان المسمّاة «أنكي وخلق الكون والإنسان»، وكذلك قصة الخليقة البابلية «أينوما أيلش» ذات الأصل السومري، فإن السبب الذي من أجله خلقت الآلهة الإنسان هو تحمّل مهمّة العمل في الحداثق الإلهية المثمرة ورفع العناء والكدح عن كاهل آلهة أيجيجي. إن موقع هذه الحداثق في سهل «إيدن» ليس بعيداً عن أريدو، لذلك فإن المخلوق الأول الذي شارك الإله أنكي في خلقه وتكوينه دعي باسم أدايا إنسان أريدو^(٢٩). نُقلت عملية خلق الإنسان أدايا وصفاته وسماته لاحقاً إلى شخصية آدم في الديانات الشرقية.

تذكر القصة السومرية أن محاولة تكوين جسد الإنسان الذي خلقتة الإلهة ننماخ من طين مياه الأعماق العذبة قريباً من أريدو قد تعرّضت للفشل مرّتين، ذلك

أن أطراف المخلوق السفلية لم تكن تقوى على حمل الجسد أو أن خلقتة كانت ناقصة ويعتريها الوهن. لذلك طلب الصنّاع

من أنكي أن يساعدهم في جعل المخلوق قادراً على الوقوف والمشي، حيث نفخ أنكي في جسد إنسان أريدو وأمر الصنّاع أن يخلطوا بصاقه وريقه مع الطين، عندها تمكّن المخلوق من الوقوف والسير ونجحت المحاولة الثالثة (شكل ٦).

يقال في جنوبي العراق للرجل المحفوظ أو الذي يتمكّن من إنجاز شيء غير متوقّع، إنه وبحسب اللهجة الدارجة «منفوخ»، أو أحياناً متفول، بصورته. أي أن هذا الرجل موفّق وقادر على الفعل، وهي بذلك مقارنة ملحوظة مع قصة الخلق السومرية.

بيت القصب، دموزي وإينانا

يحتلّ الزواج المقدّس في المعتقدات السومرية مكاناً مهماً بوصفه من مصاديق الخصب ومعالم النماء وكان يتم بين الإلهة إينانا والإله دموزي في بيت من قصب^(٣٠). لذلك، فقد كان للقصب منزلة رفيعة عند السومريون، لدرجة أن العلامة الدالة على القصب (جي Gi- في اللغة السومرية) كانت تكفي، حين تلحق بأي اسم، كي يصبح هذا الاسم مقدّساً. حتى أن هذه العلامة قد دخلت في تشكيل اسم بلاد سومر: كي- أن- جي، الذي يعني في السومرية بلاد سادة القصب في قراءة وبلاد السادة المتحضّرين في قراءة أخرى.

منذ عصر أوروك في الألف الرابع قبل الميلاد وخلال عصر فجر السلالات

أن نسبة الرجل لأمه، وليس لأبيه، هو تقليد بعيد عن البيئة العربية التي يغلب فيها المبدأ الذكوري

السبب الذي من أجله خلقت الآلهة الإنسان هو تحمّل مهمّة العمل في الحداثق الإلهية المثمرة ورفع العناء والكدح عن كاهل آلهة أيجيجي.

وثانياً لأن القمر يبدو في أبهى وأجمل صوره في الليلة الخامسة عشرة وهي بالطبع صورة تشبّه بها وجه الفتاة الجميلة، إيناناً مثلاً.

كان لأيناناً، بوصفها القوى المؤنثة التي كانت مسيطرة على الكون بحسب المعتقدات السومرية، حضوراً قوياً وملحوظاً، وكانت موافقتها، عقائدياً، تؤخذ بالاعتبار في جميع الحالات ابتداءً من اتخاذ قرار الحرب إلى بناء السدود وشق الأنهار أو بناء المعابد أو حتى بناء بيت من قصب. ولا يستبعد أن يكون بيت القصب المفضّل لدى أيناناً لإقامة الزواج المقدّس مع دموزي، مؤلفاً من خمس عشرة حنية الذي هو رقمها المفضّل. من الراجح أن هذا التقليد في بناء بيت القصب من خمسة عشر حنية قد استمر جيلاً عن جيل بوصفه رمزاً للمكانة الاجتماعية بحيث نرى في الوقت المعاصر أن عدد حنيات مضيف شيخ القبيلة أو صاحب المرتبة الاجتماعية الرفيعة تكون خمسة عشر حنية، ويقل عددها كلما قلت المرتبة الاجتماعية لصاحب المضيف^(٣٣). على أن الرقم ١٥ لا يحظى بمكانة مميزة في المجتمع العراقي المعاصر مثلما تحظى به أرقام أخرى مثل الرقم ٧ أو الرقم ١٢. من الملاحظ في الأختام الأسطوانية التي تُظهر بيوت القصب من عصر أوروك (٣٨٠٠-٣٠٠٠ ق.م) وعصر

السومرية في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، نُقشت على الأختام الأسطوانية وأعمال فنيّة أخرى حزمة القصب المعقوفة أو حنية القصب التي تشكّل عماد بيت القصب على أنهما من رموز الإلهة إيناناً بوصفها إلهة الخصب والتكاثر (شكل ٧). أمّا دموزي فكان رمزه المصوّر على الأختام الأسطوانية هو ذكر نبات القصب حديث النمو، الذي يكون صلباً ممشوقاً ومديباً من الأعلى بحيث يخترق التربة في موسم نمو واخضرار القصب^(٣١).

في قرى جنوبي العراق، يأخذ بيت القصب شكلاً يشبه جسد الأنثى من حيث تكوّره وتقوّسه واكتنازه. يتألف بيت القصب من صفين من الأعمدة المصنوعة من القصب، يتم حنيهاً لتتقوّس وتلتقي من الأعلى. في واجهة بيت القصب، كما في خلفيته، توضع حنيتيّ قصب تؤطّران المدخل المدب، تُدعم حنيتا القصب هاتين بدعامتين ضخمتين من القصب ترتفعان باستقامة في الفضاء (شكل ٨). تمثّل الحنية المعقوفة ودعامة القصب المستقيمة الإلهين أيناناً ودموزي على التوالي، وكانت الحنية ودعامة القصب تشكّلان، في التراث السومري، جزءاً حيويّاً من مشهد الزواج المقدّس بين الإلهين.

في الميثولوجيا السومرية، يعطى لكل إله أو إلهة رقماً معيناً. كان الرقم (٣٠)، مثلاً، يمنح للإله القمر نّار، إله مدينة أور، باعتبار أن القمر يُكمل دورته في ثلاثين ليلة^(٣٢). أما ابنته، إيناناً، فتعطى الرقم (١٥)، لأن رقمها لا يمكن أن يكون أكبر من رقم أبيها أولاً،

**حزمة القصب المعقوفة أو حنية القصب
التي تشكّل عماد بيت القصب على أنهما
من رموز الإلهة إينانا بوصفها إلهة الخصب
والتكاثر**

فجر السلالات السومرية (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م)، وجود رمز الإلهة إينانا (القصب المعقوفة) أو رمز الإله دموزي (القصب المستقيمة) أو كليهما. من الممكن الاستدلال أن واجهات ومداخل بيوت القصب في تلك الفترة كانت موجهة نحو مدينة أوروك باعتبارها مركز عبادة الإلهين، مثلما توجه بيوت القصب حالياً باتجاه مكة (شكل ٨).

الهلال والنجمة

كان إله القمر، نّار في السومرية و سين في الأكديّة، إلهاً لمدينة أور وإلهاً قومياً لبلاد سومر وأكد، ولاغرو، فهو والد أوتو- شمش إله العدالة وإينانا-عشتار إلهة الخصب والنماء والحب والحرب وأدد إله العواصف والأمطار وأرشيكيغال إلهة العالم السفلي^(٣٤). ارتبطت عبادة إله القمر بالمجتمعات الزراعية، ليس فقط لأن للقمر علاقة بحركة المياه في الأنهار والأهوار، بل لأن التقويم الزراعي لأعمال البذار والري والحصاد يستند أساساً إلى دورة القمر. لهذا كان لإله القمر شأناً مهماً في أوساط المجتمع الرافديني في السهل الرسوبي من بين باقي الآلهة السومرية. كما انتشرت عبادته في الشرق الأدنى القديم، من الأناضول مروراً بالشام إلى جزيرة العرب واليمن وبلاد فارس، وكان يُعبد بأسماء مختلفة

منها بعل، إيل، أيلوم، ألوهيم، اللات وغيرها^(٣٥). تشير المصادر المدونة إلى أن الملك-المصلح نبونائيد قد نقل عبادة إله القمر من أور إلى واحة تيماء قريباً من البحر الأحمر وبنى له معبداً، حتى أن شبه جزيرة سيناء قد أخذت اسمها من اسم الإله سين مثلما أخذت منطقة الجزيرة الفراتية سنجار (سين- كار أي بلاد الإله سين) من اسم الإله نفسه، وكذا بُني له معبد في لبنان باسم بعلبك: بعل-بك، أي بيت الإله بعل إذ أن بكّة تعني البيت.

كان الهلال رمزاً لإله القمر، ونقشت صورته على الأختام الأسطوانية والنصب والمنحوتات وأحجار ترسيم الحدود في جميع العصور التاريخية للحضارة العراقية، مرّة بمفرده وأخرى مقروناً بالنجمة، رمز ابنته إينانا (شكل ٩). لذلك، من الراجح أن وجود الهلال والنجمة منقوشاً على يبارق القبائل وفي أعلام دول المنطقة له علاقة بوظيفة القمر الزراعية-المائية في مجتمعات تلعب المياه فيها دوراً حيوياً.

البيض الملون

خلال عيد الفصح الذي يحتفل به المسيحيون في

**من الممكن الاستدلال أن واجهات ومداخل
بيوت القصب في تلك الفترة كانت موجهة
نحو مدينة أوروك باعتبارها مركز عبادة
الإلهين، مثلما توجه بيوت القصب حالياً
باتجاه مكة**

الأموات وخروجها إلى الحياة في فصل الربيع.

خاتمة

من خلال عرض الظواهر الاجتماعية والممارسات الثقافية وتفكيكها، ومن خلال فحص الظاهرة أو الممارسة فحصاً دقيقاً مستنداً على معطيات تدعمها الملاحظة والدليل المادي، يمكن حينها رؤية جذورها الأصلية المكونة خصوصاً إذا ما ارتكز البحث على أرضية من الأدلة الأثرية، تدعمه وتسند، مثلما تؤشر، للقائم على البحث، أين يمكن أن يجد الرابطة والآصرة بين الظاهرة وجذرها.

بالطبع، ليست هذه المحاولة هي الأولى، وهي بالتأكيد لن تكون الأخيرة، فهذا النوع من الموضوعات بحاجة إلى المزيد من البحث والتقصي، لكنها ميزتها، إن صحَّ أن لها ميزة، أنها في معظم حالاتها تجربة شخصية مقترنة بتخصص في مجال دراسة المجتمعات القديمة. إنها محاولة لرصد الصلة الثقافية بين الماضي والحاضر، ومحاولة في توثيق ظواهر اجتماعية زائلة أو في طريقها إلى ذلك.

وجود الهلال والنجمة منقوشاً على بيارق القبائل وفي أعلام دول المنطقة له علاقة بوظيفة القمر الزراعية-المائية في مجتمعات تلعب المياه فيها دوراً حيوياً.

بداية شهر نيسان، يصار إلى تلوين البيض بألوان متنوعة، أبرزها اللون الأحمر. يطلق على هذا العيد في الأدبيات الكنسية «عيد إستر». قد يكون للاسم إستر علاقة باسم الإلهة إينانا في اللغات السامية حيث يرد بصيغة عشتار Ishtar في الأكديّة، عشتروت Astarte في الفينيقية، عثار Ather في الآرامية، أشيرا Ashira، عشت Ashter، أثر عتا Atherata.

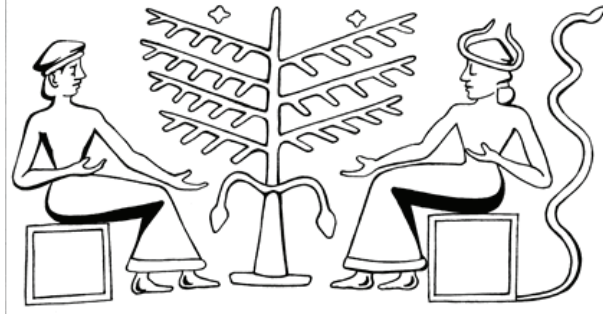
يقوم أهالي القرى في الأهوار العراقية، وإلى وقت قريب، بتلوين البيض في يوم عيد الأضحى الذي هو يوم تقديم الأضاحي نيابة عن الموتى. أتذكر جيداً أن أمهاتنا كنّ يصبغن البيض باللون الأحمر في اليوم الذي يسبق العيد. قد يكون لهذا الطقس علاقة بتقديم القرابين. ولا يُستبعد أن تكون له جذور رافدينية تتعلق بطقس الخصب أو استذكار إينانا عند نزولها إلى العالم السفلي، عالم

يقوم أهالي القرى في الأهوار العراقية،
وإلى وقت قريب، بتلوين البيض في يوم عيد
الأضحى

المتعبد متضرّعة للإله أدد أن يتقبّل منه القرّبان^(٣٧).

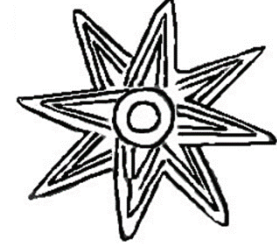
ب. ختم أسطواني من العصر البابلي القديم يُظهر الإله أدد راكباً في عربة يجرها حيوان خرافي تقف فوقه إلهة تحمل بيدها شعاع البرق، فيما يقوم متعبد بإراقة الماء على دكة تقديم القرابين^(٣٨).

ج. ختم أسطواني من العصر البابلي القديم يبدو فيه أدد واقفاً على ظهر ثور حاملاً بيديه شعاع البرق^(٣٩).



شكل ٣: ختم أسطواني يعود للعصر الأكدي (٢٣٤٠-٢٢٨٠ ق.م) يُظهر الختم إلهاً، ربما دموزي إله الخصب، بوضعية جلوس وهو يعتمر قلنسوة مقرّنة تقابله إلهة جالسة هي الأخرى على عرش، من المحتمل أنها إينانا، تنتصب بينهما شجرة نخيل مثمرة، ويبدو في حافة المشهد ثعبان صاعد إلى الأعلى.

الأشكال



شكل ١: كوكب الزهرة، النجمة الثمانية، رمز إينانا، منقوشاً على حجرة ترسيم حدود من العصر البابلي القديم (١٧٦٣ - ١٥٩٥ ق.م). بتصرّف بعد (Frankfort 1954) (٣٦)



شكل ٢: الإله أدد

أ. ختم أسطواني من العصر البابلي القديم يُظهر أدد، إله العواصف والأمطار، يحمل بيده شعاع البرق أو سوطاً يسوق به الغيوم وهو يقف على ظهر ثور. يبدو خلفه مزارع بهيئة الرجل-الثور وهو يمسك مسحة ذات عصا طويلة، فيما يقف متعبد بمواجهة الإله يقدم له قرباناً. تقوم الإلهة لاما، إلهة الرحمة والعطف بتقديم



شكل ٥: الجزء الوسطي من ختم أسطواني من عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠-٢٤٠٠ ق.م) يظهر الإلهة إينانا جالسة بظل شجرة «خلايو»، شجرتها المفضلة، فيما يقترب منها الإله دموزي مُمسكاً صولجان.

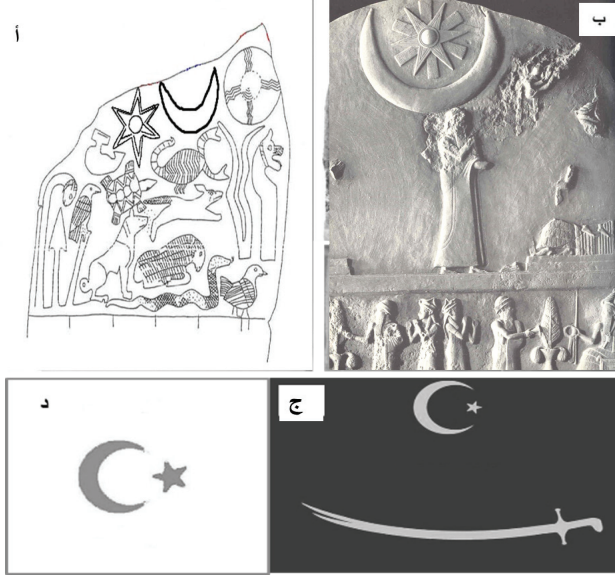


شكل ٦: ختم أسطواني من عصر فجر السلالات الأول (٣٠٠٠-٢٧٠٠ ق.م) يُظهر مشهد خلق الإنسان حيث تبدو الإلهة ننماخ في محاولتها الأولى، التي لم يكتبها النجاح، في صنع إنسان أريدو.

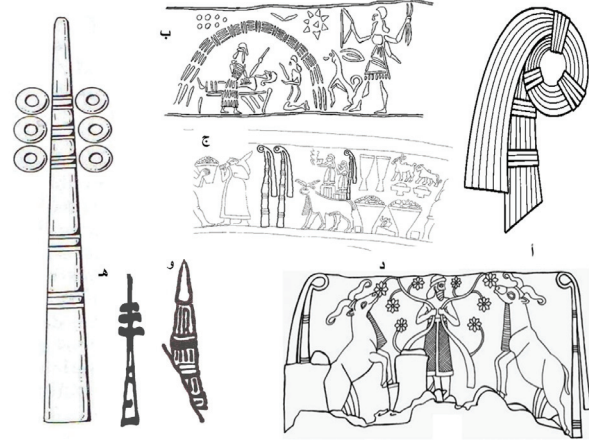


شكل ٤: أ. ختم أسطواني من العصر البابلي القديم (١٧٦٣-١٥٩٥ ق.م)، يُظهر إلهة، ربما إينانا، وهي تقطف التمر من نخلة مثمرة الى جنبها فسيلة نخيل. يبدو طائري غراب، أحدهما يصيح بوجه إينانا محذراً من الاقتراب من النخلة، والآخر يحمل ثمرة بمنقاره مبتعداً عن النخلة.

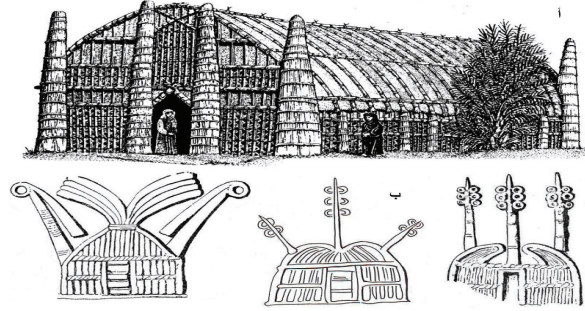
ب. ختم أسطواني مصنوع منحوت بأسلوب عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م)، يظهر إلهة، ربما إينانا، تلتقط الثمار من نخلة وتعطيها لامرأة فيما تبدو امرأة أخرى تقطف التمر من الجانب المقابل للنخلة. غالباً ما يصور طائر الأوز كرمز لإينانا.



شكل ٩: أ. حجرة ترسيم حدود بيدو فيها رموز الآلهة الرافدية، من بينها الهلال، رمز إله القمر ننا، والنجمة رمز الإلهة إينانا. ب. مسلة الملك أورنمو (٢١١٣-٢٠٩٥ ق.م)، مؤسس سلالة أور الثالثة. يبدو في أعلى المسلة الهلال والنجمة. د. بيرق قبيلة عراقية معاصرة. ه. علم دولة عربية معاصرة.



شكل ٧: رموز الإلهة إينانا (أ) - حزمة القصب المعقوفة، ب - حنية القصب، ج - د القصب المعقوفة، ورموز الإله دموزي (هـ) - القصب المدببة المستقيمة، و - حزمة القصب المستقيمة ذات النهاية المدببة). الأشكال مأخوذة من مشاهد منقوشة على أوانٍ حجرية وأختام إسطوانية من عصر أورورك (٣٨٠٠-٣٠٠٠ ق.م) وعصر فجر السلالات السومرية (٢٦٠٠-٢٤٠٠ ق.م).



شكل ٨: في الأعلى تخطيط لبيت قصب. في الأسفل مشاهد بيوت قصب مستقاة من أعمال نحتية من عصر أورورك (٣٨٠٠-٣٠٠٠ ق.م)

University of Chicago Press, 1953. pp. 241-243..

- 8 Wylie, Alison. The Reaction against Analogy Advances in Archaeological Method and Theory, Vol. 8 (1985), pp. 63-111.

9 Hodder, Ibid, P. 146.

١٠ الركابي، ناجي عباس، الأساطير المؤسسة للعقل الثقافي العراقي: دراسة في جينالوجيا الثقافة العراقية، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق ٢٠١٢، ص ٦٧.

11 Michael Wood. Mesopotamia: Birthplace of civilization, the Guardian Newspaper 10 November 2010.

12 Rost, Stephanie and Hamdani, Abdulmir. «Traditional dam construction in modern Iraq: A possible analogy for ancient Mesopotamian irrigation practices,» Iraq Vol. LXXIII 2011, pp.201.

13 Kramer, C. (eds) The implication of Ethnoarchaeology: the implication of Ethnography for Archaeology. New York: Columbia University Press, 1979, P 185.

14 Kramer, S. N. Sumerian Mythology: a Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B. C., University of Chicago Press, 1944, p35.

15 Cirlot, J.A. Dictionary of Symbols. Translated by J. Sage, London 1962, p.42.

١٦ علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز. بغداد ١٩٧٣، ص ١٧.

١٧ عبد الأمير، شوقي، ميلاد نخلة: أسطورة أينانا وشوكتودا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٧.

١٨ عبد الأمير، شوقي، المصدر السابق، ص ٣٢.

١٩ الحمداني، عبد الأمير، صورة النخلة في المعتقدات الرافدية، مجلة الآداب السومرية، العدد الثالث، مطبوعات جامعة ذي قار، العراق، ٢٠٠٩، ص ٦١.

٢٠ الجزائري، السيد نعمة الله، الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية، مطبوعات الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٣٥.

٢١ الحسني، عبد الرزاق، الصابئة في حاضرهم وماضيهم، طبعة بيروت، ١٩٧٠، ص ٧١.

٢٢ العصيمي، فهد بن حمود، أهمية النخيل في الإسلام وأحكامها الشرعية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء المغرب ١٩٩٨ ص ١٦.

الهوامش

* عبد الأمير الحمداني آثاري عراقي، عضو مؤسس لجمعية الآثاريين العراقيين، وزميل لمؤسسات عالمية منها مجلس المدارس الأمريكية للدراسات الشرقية، والمعهد البريطاني للبحوث في العراق، والمركز الدولي لبحوث صيانة وترميم الممتلكات الثقافية-اليونسكو، وصندوق التراث العالمي. متفرغ لدراسة الدكتوراه في قسم علوم الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة ولاية نيويورك في ستوني بروك. مهتم بدراسة آثار العراق القديم وحضارات ولغات الشرق الأدنى القديم. عمل لسنوات في حقل التنقيبات والمسوحات الأثرية. قاد فرقاً لمسح المواقع الأثرية ودراساتها وتوثيقها جنوب العراق للفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٠، إذ تمكن من توثيق ١٢٠٠ موقعا ودراستها بضمنها مواقع جديدة لم يتم زيارتها مسبقاً في مناطق شرق نهر الغراف وفي الأهوار الجنوبية والبادية الجنوبية. ألف ونشر مقالات لمجلات علمية وفصول في كتب باللغتين العربية والإنجليزية. حاز على جوائز علمية عالمية في مجال تخصصه، منها جائزة أفضل باحث لعام ٢٠١٣ من مجلس المدارس الأمريكية للدراسات الشرقية.

- 1 Sollas, W. J. Ancient hunters and their modern representatives (third edition). London: Macmillan 1924, p135..
- 2 David, Nicholas and Kramer, Carol. Ethno-archaeology in Action, Cambridge University Press, 2001. P 410.
- 3 Ascher, Robert. Analogy in archaeological interpretation. Southwestern Journal of Anthropology 17, 1961, pp.317-325.
- 4 Binford, Lewis. Archaeology as Anthropology. American Antiquity 28 (2)1962, pp. 217-225.
- 5 Hodder, Ian. The present past: An introduction to anthropology for archaeologists. New York .Pica Press 1983, P. 144.
- 6 Hodder, Ibid, p. 145.
- 7 Clark, J. Grahame. Archaeology. In An appraisal of anthropology today, edited by S. Tax et al. Chicago:

- 30 Cirlot, Ibid, 78.
- 31 Kramer, Ibid, p 19.
- ٣٢ سليم، شاكر مصطفى، الجبايش، دراسة أنثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦، ص ٧٣.
- 33 Kramer, Ibid, p 85
- ٣٤ كدر، جورج، معجم آلهة العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت ٢٠١٣، ١٥٤.
- 35 . Frankfort, Henri. Cylinder Seals, London 1939, p 101.
- 36 Collon, Dominique. First Impressions: Cylinder Seals in the Ancient Near East. The British Museum Press, London 2005, p 173.
- 37 Collon, Ibid, p 173.
- 38 , Ibid, p165. . Frankfort
- 23 Wilkinson, Tony J. Archaeological Landscapes of the Near East. University of Arizona, Tucson 2003, p 43.
- ٢٤ إلياد، ميرسيا، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق ١٩٩١، ص ٦٨.
- 25 Kramer, Ibid, p 65.
- 26 Speiser, E. A. Akkadian Myths and Epics. In Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (3 ed). Edited by James B. Pritchard. Princeton: Princeton University Press 1969, p 91.
- ٢٧ باقر، طه، ملحمة جلجامش، وزارة الإرشاد، بغداد ١٩٦١، ٣٩.
- ٢٨ الوائلي، فيصل، من أدب العراق القديم. مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثامن عشر، مديرية الآثار العامة، بغداد ١٩٦٣، ص ٣٩.
- ٢٩ علي، مصدر سابق، ص ٥٢

